﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: 45]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين أوصافِ المستحِقّين للنّارِ واللّعنةِ، وبين الكفَرةِ الصّادّين عن سَبيلِ الله المستقيمِ

لَمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى في الآية السابقة إعلامَ المؤَذِّنِ باستحقاقِ أصحابِ النّارِ الطَّرْدَ والإبعادَ من رحمَةِ اللّهِ تعالى، وذكَرَ الوصْفَ الَّذي بهِ استحقّوا ذلك وهو الظُّلْمُ؛ ذكرَ في هذه الآيَةِ بقيَّة هذهِ الأوصاف الَّتي صدرت منهم، واستحقّوا بها اللَّعنَ؛ فقالَ سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصُدُّونَ﴾: الصّادُ والدّالُ تدورُ أكْثَرُ تصاريفِها علَى معنَى الإعراضِ والعُدُولِ، وَمِنْهُ: الصَّدُّ؛ وهو الإعراضُ، والمَيْلُ إلى أحدِ الجانِبَيْنِ[1]، وَصَدَّ عَنِ الشَّيءِ: صَرفَ غيرَهُ عَنْهُ[2].

والصَّدُّ يَرِدُ على ضَرْبَيْنِ[3]: **أحدهُما**: أن يكونَ بمعنَى الانصرافِ عن الشَّيءِ والامتناعِ عنه، ومنه قَوْلُ اللّهِ تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: 61]. **والآخَرُ**: أن يكونَ بمعنى الصَّرْفِ والمَنْعِ، ومنه قَوْلُه سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

2) ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾: الباءُ والغَيْنُ والياءُ تدلُّ اشتقاقاتُها على معْنَيين، أحدُهما: طلبُ الشَّيءِ، والآخَرُ: ضَرْبٌ مِنَ الفسادِ، ومِنَ الأوَّلِ قولُهُم: بَغَيْتُ الشَّيءَ أبْغيهِ، بمعنَى: طلَبْتُهُ[4]، ومن الثاني: معنَى قولِ اللّه

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صد).
(2) نشوان الحميري، شمس العلوم: (صد).
(3) الرّاغب، المفردات: (صدد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).

تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أنَّهُم طلبوا سَبيلَ اللهِ بالصَّلاةِ لِغَيْرِهِ، وتَعْظيمِ ما لَم يُعَظِّمْهُ اللهُ، فأخْطَؤوا الطَّريقَ وطلَبوهُ ضالّينَ عنه[1].

3) ﴿عِوَجًا﴾: العَيْنُ والواوُ والجيمُ ترجِعُ تصاريفُها إلى معنى المَيْلِ في الشَّيءِ[2]، أو العَطْف عَن حالِ الانْتِصابِ[3]، ومنه العَوَجُ؛ وهو: الانْعِطافُ فيما كانَ قائمًا، فمالَ[4].

ومعنَى قولِهِ ﷻ: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يَلْتَمِسونَ المَيْلَ والانْحِرافَ لدينِ اللهِ تعالى[5].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

أوصَافُ الظّلَمةِ الّذين استحَقُّوا اللّعْنَةَ، باغْوجاجِ سبيلِهم، وصدِّهم عنِ الحقِّ

بيَّن اللهُ تعالى في هذه الآية أنَّ الظّالمين الّذين حقَّت عليهم لعنَةُ اللهِ تعالى، هُمُ الّذين كفروا باللهِ سُبحانَهُ، ومنعوا النّاسَ بغيًا وعدوانًا مِن سلوكِ طريقِ الحقِّ، وحاوَلوا أن يُغيِّروا دينَ اللهِ، ويُبدِّلوهُ عمّا جعلَهُ لَهُ مِنَ الاسْتِقامَةِ حتَّى ينفرَ النّاس منهُ، ويبتعدوا عنهُ، وهم بالآخرةِ وما فيها من البعْثِ والثَّواب والعقابِ جاحِدونَ[6]. وترشدُ الآيةُ إلى التّنديدِ بالصدِّ عن سبيل اللهِ، والظّلمِ والكفرِ بالآخرة، وهي الأسبابُ الجامعة للشّقاء في الدّار الآخرة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

بَيانُ حَقِيقَةِ الظُّلْمِ الّذِي يَسْتَحِقُّ أَهْلُهُ عَظِيمَ اللَّعْنِ، وشَديدَ العَذابِ

فُصِلَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِ الاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وقعَ صِفَةً لـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وشأنُ الصِّفةِ ألّا تُعْطَفَ على الموصوفِ.

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 9/149.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عوج).
(3) الرّاغب، المفردات: (عوج).
(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (عوج).
(5) مكّيّ القيسّي، الهداية إلى بلوغ النهاية: 5/3770.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 12/448، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 156.

ويَجوزُ أنْ يَكونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، وفُصِلَتِ الجُمْلَةُ عَمّا قبلَها - على هذا الوَجْهِ - لوقوعِها بيانًا وتفسيرًا لِما قبلَها[1]، فبينَ الجُمْلَتَينِ كمالُ الاتِّصالِ، ويَحْتَمِلُ أن تكونَ الجملَةُ استئنافًا بيانيًّا، فيكون بين الجُملَتَيْنِ شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّه لمّا قيل: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وكان ذلكَ يورِثُ سُؤالًا في نفسِ المُتَلَقّي؛ وهو: هل المرادُ كلُّ مَنْ وقعَ منه ظُلْمٌ ولو كان ذلك يسيرًا؟ فجاء الجوابُ ببيانِ حقيقةِ هؤلاءِ الظّالمين، فقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

دَلالَةُ الوَصْفِ بالاسمِ المَوْصُولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ حِكايَةً عَن قَوْلِهِمُ السّابِقِ:

في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يَجوزُ أن يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصْفًا لـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ونُكْتَةُ الوصْفِ تقريرُ معنَى الظُّلْمِ؛ لكَوْنِ الإعراضِ لازمًا لكلِّ ظالمٍ[2]، وهذا الوصْفُ بالاسْمِ المَوْصولِ حِكايَةٌ عَن قَوْلِهِمُ السّابِقِ، والمعنى: الذينَ كانوا يَصُدّون عن سبيلِ اللّهِ؛ وذلك لأنَّهم حالَ تأذينَ المؤذِّنِ لَمْ يَكونوا مُتَّصِفينَ بِهَذا الوَصْفِ[3].

الإعْـراضُ عَـنْ سَبِيلِ اللهِ تَعالَى وهَدْيِه، طبيعةُ كُلِّ ظالِمٍ غَشومٍ

سِرُّ التَّعبيرِ بالصَّدِّ ﴿يَصُدُّونَ﴾ دونَ المَنْعِ:

في قَوْلِ اللّهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالصَّدِّ دون المنع؛ لوجود فرقٍ بينهما؛ فالصَّدُّ كما يقول الرّاغبُ: قد يكون انصرافًا عن الشَّيءِ وامتناعًا، كما في قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومنعًا كما في هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والصَّدُّ: ما يحول من الجبل، والصَّديد: ما يحول بين اللَّحم والجلد من القَيح.

شِـدَّةُ الـظُّـلْـمِ مَـدْعاةٌ إلَى مَنْعِ وُصُولِ الخَيْرِ إلَى الخَلْقِ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2845.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 3/229، والآلوسي، روح المعاني: 4/362.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 5/56.

أمّا المنع: أن تحولَ بينَ الرَّجلِ وبين الشَّيءِ الَّذي يريده، قاله ابن منظور، ولذلك أُطلقَ المنعُ على ما لأجلهِ يتعذَّر الفعلُ على القادر[1].

وممّا سبقَ يتبيَّن لنا أنَّ الصَّدَّ: هو المنعُ عن قصد الشَّيء خاصةً، والمنعُ يكون في ذلك وفي غيره، فهو أعمُّ، فتقول: منعَ الحائطَ عن الميل، ولا تقول: صدَّ الحائطَ عن الميل؛ لأنَّ الحائطَ لا قصدَ له.

وعلى هذا فاختيارُ لفظ (الصَّدِّ) هنا في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ لما يحمله من دلالةٍ في موجبِ لعنةِ الظالمين؛ لأنَّهم لم يقفوا عند ظُلم أنفسِهم بكُفرهم فقط، بل تعدَّى دورهم إلى صرفِ النّاس ومنعهم عن الإيمانِ باللّه وبرسوله، وذلك بتنفيرِ النّاس عن هذا الدّين ومحاولةِ إظهارِ أنَّهُ غيرُ صالحٍ لحياة النّاس.

والصَّدُّ عَمّا هذا وصْفُهُ يَفْتَقِرُ إلى قوَّةٍ في هذا المَنْعِ واجتهادٍ فيه، ففي هذا إيماءٌ إلى اجْتِهادِهم في باطِلِهِمْ، لذلك عبَّرَ بالصَّدِّ.

دَلالةُ حذْفِ المفعولِ للفعْلِ ﴿يَصُدُّونَ﴾:

حِـرْصُ الظّالمينَ عَلى مَنْعِ وُصولِ الـــخَـــيْرِ إلى المحتاجِين مِـنَ العِبادِ

حُذفَ مفعولُ ﴿يَصُدُّونَ﴾ من باب الإيجاز، ونُكْتَتُه: إرادَةُ العُموم، أي: يصدّونَ كُلَّ أحدٍ عن سبيلِ اللّه، فقد بلَغَ بهم الظُّلْمُ والانحرافُ أنَّهم لا يُريدونَ أن يَصِلَ الخَيْرُ إلى أحدٍ مِنَ الخَلْقِ.

دَلالَةُ إجْراءِ الصِّلَةِ بِصيغَةِ المُضارِعِ:

تَقْريعُ أَصْحابِ النّارِ باسْتِحْضارِ الأَحْوالِ القَبيحَةِ

جاءَ الفِعْلان ﴿يَصُدُّونَ﴾ و﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ في جملة الصِّلَةِ من قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مُضارِعَيْنِ؛ مَعَ أنَّ شأنَ الفِعْلِ المُضارِعِ أن يَدُلَّ على حدثٍ حاصلٍ في زَمَنِ الحالِ، وهم زَمَنَ تأذينَ المؤذِّنِ لم يكونوا متَّصفين بالصَّدِّ عن سبيلِ اللّه ولا ببَغْيِ عِوَجِ السَّبيلِ، وذلك لإرادَةِ ما يُفيدُهُ الفِعْلُ المضارِعُ من تَكرارِ حصولِ الحَدَثِ تبعًا لمعنى التَّجدُّدِ، والمُراد:

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (صدد).

وصفُهم بتكرُّرِ ذلك منهم في الزَّمَنِ الماضي؛ استحضارًا لحالِهِمُ القَبيحَةِ[1].

بَراعَةُ التَّصْويرِ، فِي الصّدِّ عن سَبيلِ الصّانعِ القديرِ:

الصّدُّ مَنْعُ أَهْلِ البـاطِـلِ أَهْـلَ الحَقِّ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِ الهُدَى

في قَوْلِ اللّهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، تظهرُ براعةُ هذا التَّصويرِ في جعلِ الَّذين يصُدُّون النّاس عن سبيلِ اللّه تعالى بأنَّهم قُطّاع طريق، فكأنَّهُمْ يقفُونَ على رأسِ طريقِ الحقِّ يَمْنَعُونَ مَن يُريدُ سُلوكَهُ؛ فهم يترصَّدُونَ أهلَ الهُدَى، ويَرُدُّونَهُمْ[2] عن الصِّراطِ المستقيمِ الموصلِ إلى الحقِّ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالسَّبيلِ، دون غيرِهِ منَ الألفاظِ:

دِيـــنُ الـلّـهِ تَـعـالَى وَشَـرْعُـهُ سَهْلٌ سُلُوكُهُ؛ لِمُوافَقَتِهِ الفِطْرَةَ الإنْسانِيَّةَ

جاءَ التَّعبيرُ عَن دين اللّهِ تعالى وشَرْعِهِ بالسَّبيلِ في قَوْلِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لِما يدلُّ عَلَيْهِ مِنَ الاِمْتِدادِ والسُّهولةِ والسَّعَةِ[3].

ولذلك فإنَّ النّاظرَ في آياتِ القرآن الكريم يجدُ لفظَ السَّبيل في الغالب مضافًا إلى لفظ الجلالة؛ ليؤكِّدَ ملمحَ السُّهولةِ في شرعِ اللّه ووضوحِهِ للسّالكين.

بخلاف الطَّريق؛ فهوَ مستعملٌ في القرآنِ الكريم في الدَّلالة على المسلكِ الَّذي يسلكه الإنسانُ؛ محمودًا كان أو مذمومًا.

سِرُّ إضافَةِ السَّبيلِ إِلَى اسْمِ الجلالة (الله):

تَـفْـظِـيـعُ شَـأْنِ الـصّـادِّيـنَ عَـنْ سَـبِـيـلِ الـلّـهِ تَـعـالَى، كُـفْـرانًـا وَظُلْمًا

أُضيفَ السَّبيلُ إلى اسْمِ الجلالة (اللّه) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه هو الَّذي شرعَها، وبيَّن معالمها، وأمرَ بسلوكها، ووعدَ بالثَّواب مَن سلكَها، وحذَّر بالعقاب مَن لم يسلُكْها[4]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/138.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2845.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/405، ومحمَّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 281 - 284.
(4) الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 3/277.

وفي ذلك تفظيعُ شأنِ الصّادّينَ عن هذا الأمْرِ الجليلِ، والنِّداءُ عليهم بالانحرافِ والضَّلالِ؛ لأنَّ الأحرى بهم بدلًا منَ الصَّدِّ عن سبيل اللّه أن يتَّبعوه، ويرغِّبوا النّاسَ فيه.

بَلاغة المَجازِ، فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾:

شِدَّةُ حَنَقِ أَهْلِ الباطِلِ عَلَى دِينِ اللهِ تَعالَى، تَتكرّرُ دائمًا وتَتوالَى

في قولِه تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مجازٌ مرسَلٌ، بعلاقَةِ المَلْزوميَّة، فأُطْلِقَ الملزومُ وأُريدَ لازمُه؛ لأنَّ دينَ اللّهِ تعالى وشرعَهُ غيرُ قابلٍ للاعْوِجاجِ، ولا يستَطيعونَ ذلك، وإنَّما المرادُ أنَّهم يُريدونَ إظهارَ هذه السَّبيلِ عَوْجاءَ، بما يَخْتَلِقونَ لها من نقائِصَ يُموِّهونَها على النّاس؛ تنفيرًا لهُم عَنِ الإسلامِ[1].

وفي التَّعبير بالمجازِ: إشارةٌ إلى شدَّةِ حَنقِهم على هذا الدّين، بحيثُ إنَّه لو أمكنَهم إدخالُ العِوَجِ على الدّينِ ذاتِهِ؛ لما تَرَدَّدوا في ذَلِكَ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالمَصْدَرِ ﴿عِوَجًا﴾:

مهْمَا اعوَجَّ أَهْلُ الكُفْرِ، فدِينُ اللهِ تَعالَى وَشَرْعُهُ مُستقيمٌ

﴿عِوَجًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مصدَرٌ، وإنَّما وقعَ التَّعبيرُ بالمصدَرِ على سبيلِ المبالغَةِ[2]، والتقدير: (ويبغونها بَغيًا متّصفًا بشدّة العِوَجِ) أي: إنَّهم يرغبون رَغْبَةً عوْجاء في إظهارِ دينِ اللّهِ تعالى وشرعِهِ، حتّى انْسَلَخَ مُتَطلّبُهم هذا من ثوب الاستقامة، وأصبحَ في ثَوْبِ الاعْوِجاجِ والضّلال.

سِرُّ التَّعبيرِ بقوله ﴿عِوَجًا﴾ على صيغة التنكير:

الظّالمُ مُتطبّعٌ بإرادةِ مُطْلَقِ العِوَجِ، وذلك إلفٌ له وعادةٌ

عبَّر بالنَّكرة ﴿عِوَجًا﴾ الَّتي تدلُّ على الشّيوع، دون المعرفةِ (العِوج) الَّتي تفيدُ التَّعيين أو التّخصيص؛ لأنَّهم يريدون مطلقَ العِوَج، وهذا يدلُّ على شدَّة بغضهم لدين اللّه وعداوتهم له، ولا ينحصرون بعِوَجٍ بعينه، بل يريدون أن يقع العِوجُ في شريعة اللّه على أيِّ شكلٍ من الأشكال صغيرًا أو ضئيلًا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/140.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/139.

سِرُّ التَّعبيرِ بالعِوَجِ دونَ الميلِ:

الظّالم يَميلُ مَعَ الفِتَنِ، لِيُشْبِعَ رغْبتَه في إشْقاءِ الآخَرينَ

في قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ عبَّر بالعِوَج دون الميل؛ لوجود فرقٍ بينهما في الاستعمال، فالعَوجُ معناهُ في اللغة: العطف عن حال الانتصابِ، يقال: فلانٌ ما يعوُجُ عن شيءٍ يهمُّ به -أي ما يرجع-، والعَوَجُ يقال فيما يُدرك بالبصر سهلًا؛ كالخشب المنتصبِ ونحوه، والعِوَجُ يقالُ في ما يُدرك بالفكر والبصيرة، ويستعمل ذلك في الدّين والمعاش، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾. والعِوَجُ: ضِدُّ الاِسْتِقامَةِ، وهو بِفَتْحِ العَيْنِ في الأجْسامِ، وبِكَسْرِ العَيْنِ في المَعاني، وأصْلُهُ أنْ يَجُوزَ فِيهِ الفَتْحُ والكَسْرُ، ولَكِنَّ الاِسْتِعْمالَ خَصَّصَ الحَقِيقَةَ بِأحَدِ الوَجْهَيْنِ والمَجازَ بِالوَجْهِ الآخَرِ، وذَلِكَ مِن مَحاسِنِ الاِسْتِعْمالِ، فالإخْبارُ عَنِ السَّبِيلِ بِعِوَجٍ إخْبارٌ بِالمَصْدَرِ لِلْمُبالَغَةِ، أيْ ويَرُومُونَ ويُحاوِلُونَ إظْهارَ هَذِهِ السَّبِيلِ عَوْجاءَ، أيْ يَخْتَلِقُونَ لَها نَقائِصَ يُمَوِّهُونَها عَلى النّاسِ تَنْفِيرًا عَنِ الإسْلامِ كَقَوْلِهِمْ ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: 7]، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: 8][1] أمّا الميلُ؛ فهو: العدولُ عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويُستَعمل في الجور[2]. ومن خلالِ النَّظر في المعنى اللُّغوي لكلٍّ منهما: نجد أنَّ (عوج) يختلف عن الميلِ؛ لأنَّه يخرج عن حال الانتصابِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الدّين قائمٌ ومنتصبٌ في فطرة الإنسان، وما يفعله الظالمون هو ثنيُ هذا الانتصابِ الفطري في نفس المؤمن.

أمّا الميلُ؛ فهو في الغالب متعلِّقٌ بالأمور المعنويَّة؛ كميل القلب نحو شيء ما، قال تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾، وبذلك يتبيَّن أنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/139.
(2) الراغب، المفردات: (عوج - ميل).

اختيار لفظ العِوَج هو المناسبُ لهذا السّياق في بيان فعل الصّادين في تغيير اتجاه الفطرة من الاستقامة إلى العِوَج، ويطلبون لسبيل الله اعوجاجًا بإيهام الناس ذلك.

بَلاغةُ الاستِخدامِ في الآية الكريمة:

سَبِيلُ اللهِ مُستقيمٌ، والصّادّون يَتّخِذون طُرُقًا عَوجَاءَ

في قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ محسِّنٌ بديعيٌّ وهو مُحسِّنُ الاستخدام؛ حيثُ إنّ عَوْدَ الضّمير على ما يدلّ عليه جميع معنى ذكر السَّبيل، في قوله تعالى: ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لكلّ أجزائه، توسيعًا للمعنى، واستغراقًا في وصف طريقة الصّادّين من أهل الكفر والشّرك من اتّخاذ الطريق الأعوج، لِما هم عليه من الظُّلم والكفر[1]. وجاءَ التَّعبيرُ بالتَّأنيث في قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ لأنَّه عائدٌ إلى السَّبيل، وهو يُذكَّر ويؤنَّث[2]، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِى﴾.

فائِدةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ دونَ يطلُبُونَها:

حَنَقُ الظّالمين، أورَثَهم ضَنَكَ الاعْوِجاجِ

آثر القرآنُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ دون يطلبونها؛ لأنَّ البغيَ طلبٌ بشدَّةٍ، فكأنَّهم في طلب العِوَج يعتبرون ذلك هو بُغيَتُهُم الَّتي يبتغونها، ويتركون كلَّ مستقيم، ويريدون كلَّ مُعوجٍّ، وذلك لسيطرة الأوهامِ عليهم، وتسلُّط الأهواءِ والشَّهوات.

سِرُّ ذِكْرِ الضّميرِ المُنفصلِ ﴿وَهُم﴾ مرّةً لا مرّتين:

لم يحْتَجْ مَوضعُ سُورةِ الأعراف إلى مزيدِ تَعيينٍ؛ فمَبْناها على الإيجازِ

ورد قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾، محتويا على الضّمير المنفصل مرّة واحدة، بينما ورد الضمير في سورة هود، في قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ مرّتين. والنّاظرُ في هاتين الآيتين من السّورتَين يجد تشابهًا لفظيًّا واضحًا مع اختلافٍ يسيرٍ بينهما؛ وقد أجاب العلماءُ عن ذلك، فقال ابن الزُّبير الغَرْناطي: "إنَّ ابتداءَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/139.
(2) الثعلبي، الكشف والبيان: 12/93.

الإخبار في الأعراف بحالِ هؤلاءِ الملعونين في الآيتين هو قوله في موضعِ الأعراف: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وفي موضع هودٍ ابتدأ الإخبارُ عنهم بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: 18].

فالملاحظُ أنَّ موضعَ سورةِ هود جاء على الإطناب؛ وممّا يؤكِّد ذلك ورودُ الظّاهر في موضع المضمَر من قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يقُل: (عليهم)، فناسبَ الإطنابُ زيادةَ ضمير الفصل ﴿وَهُم﴾.

أمّا آيةُ الأعرافِ؛ فمبناها على الإيجاز، والّذي ناسبه سقوطُ ضمير الفصل"[1].

وممّا يُذكَر في سرِّ عدم ذِكرِ ضمير الفصل في الأعراف، وذِكرِهِ في سورة هود: أنَّ ما في الأعراف جاء على أصلهِ غيرَ مزيدٍ فيه ما يجري مجرى التَّوكيد؛ أمّا الَّذي في سورة هودٍ فجاءَ بعد قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [هود: 18] فأُشير إليهم، ثم قال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فلمّا صرَّح بوصف الظّالمين؛ التبسَ الأمرُ على السّامع: أهُمُ الذين كذَبوا على ربّهم أم غيرُهم ؟ فقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾؛ ليُعلَم أنَّهم هم المذكورون لا غيرهم؛ بخلافِ موضع سورة الأعرافِ، فلا يردُ فيه هذا الاحتمالُ؛ لذلك لم يُحتَجْ إلى توكيدِه.

دَلالَةُ تَقْدِيمِ الجارِّ والمَجْرُورِ:

بيانُ تَعْظِيمِ الكُفْرِ بِالآخِرَةِ، والمُبالَغَةِ فِي تَقْبِيحِهِ

في قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾، قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ اهتمامًا بشأنِ الآخِرةِ، وذلك يَقْتَضي تَعْظيمَ الكُفْرِ بها

(1) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل: 1/181.

والمبالغَةَ في تَقْبيحِه، ولا يُرادُ بالتَّقديم القَصْرُ؛ لأنَّ الكافرَ بالقيامَةِ كافِرٌ بأشياءَ متعدِّدَةٍ ممّا يجبُ الإيمانُ به شَرْعًا. ولتَقْديمِ الجارِّ والمجرورِ فائدَةٌ أُخْرَى؛ وهي مراعاةُ التَّناسُبِ الصَّوْتيِّ لفواصِلِ الآيِ[1]، وذلك لأنَّ الآيةَ قبلَها اخْتُتِمَت بقولِه تعالى: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والآيةَ بعدها خُتِمَت بقولِه سُبحانَهُ: ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فلو جرَى الكلامُ في هذه الآيَةِ على مقتضَى الظّاهرِ من تأخيرِ الجارِّ والمجْرورِ بأنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (وهم كافِرون بالآخِرَةِ)؛ لفاتَ هذا التَّناسُبُ الصَّوْتيُّ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ، في هذه الآيةِ:

بَيانُ شِدَّةِ رُسُوخِهِمْ في الكُفْرِ، وَقُوَّةِ تمكُّنِ الكُفْرِ منهُمْ

الجُمْلَةُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ جملَةٌ اسميَّةٌ، وعُدِلَ إليها للدَّلالة على الدَّوام والثَّبات، وفي ذلكَ إشارَةٌ إلى رُسوخ الكُفْرِ فيهِم ورُسوخِهم فيه[2]، وأنَّهم كانوا جاحِدينَ جَحْدًا لا تحلُّ منه[3]، وذلك لأنَّ أكثَرَ الكُفْرِ حاصِلٌ بالاعْتقادات العقليَّة الَّتي لا يُناسِبها التَّكَرُّرُ، ولِذا غويرَ بينَهُ وبَيْنَ وصْفِهِمْ بالصَّدِّ عَن سَبيلِ اللهِ تعالى وإرادَةِ إظْهارِ العِوَجِ فيها؛ لأنَّهُما مِنَ الأفْعالِ القابلَةِ للتَّكَرُّرِ، بخِلافِ الكُفْرِ، فإنَّ أكثَرَهُ لَيْسَ مِنَ الأفْعالِ، ولَكِنَّهُ مِنَ الانْفعالاتِ القلبيَّة[4].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ عَنْ كُفْرِهِمْ بِاسْمِ الفاعِلِ (كافِرُونَ):

اسْتِحْضارُ فَظائِعِ أَصْحابِ النّارِ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِمُوجِبِ العَذابِ المُضارّ

وُصِفَ كُفْرُهم باسْمِ الفاعِلِ في قولِه تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾، وإنْ كانَ اسمُ الفاعِلِ دالًّا في الأصْلِ على الحالِ، وهو مستعمَلٌ هُنا في الماضي؛ إذْ إنَّ كُفْرَهُم بالآخرَةِ كانَ فيما مضَى مِنْ حياتِهم الدُّنيا[5]، وذلكَ لقَصْدِ وصفِهِم بتكرُّرِهِ منهم في الزَّمنِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/363.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/363.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/2846.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/140.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/138.

الماضي؛ اسْتِحْضارًا لحالِهِمُ الشَّنيعَةِ، ولتذكيرِهِمْ بموجِبِ العَذابِ الذي هم فيهِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بالآخرةِ في الآية الكريمة:

كُفرُهم بالآخرةِ كُـفـرٌ بـكـلِّ ما فيها من مشاهدَ وغَيْبِيّاتٍ

في قولِه تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ آثر القرآنُ الكريم ذِكرَ كُفرِهم بالآخرةِ دون غيرِها من أوصافِ القيامة؛ لأنَّ لفظَ الآخرةِ هو الأعمُّ، وتندرج تحته كلُّ المشاهد بعد ذلك؛ فهم كفروا بالبعث والنُّشور والحساب والجزاء؛ من العقاب والثواب إلى غير ذلك ممّا يكون في الآخرة.

دَلالةُ التَّأكيدِ بعدّةِ مُؤكِّداتٍ في ختامِ هذه الآيةِ:

التَّأكيدُ أُسلوبٌ مـن أسـالـيـبِ إقـامَـةِ الـحُـجَّـةِ عـلـى الـظّـالـمـين الكَفرة

قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾، النّاظرُ في ختامِ هذه الآية يجد أنَّ اللهَ أكَّد كُفرَهم بالآخرة بعدة مؤكِّدات: **أوَّلُها:** ضمير الفصل (هم)، والغرضُ منه تأكيدُ الحكم بكفرِهم. **ثانيها:** تقديمُ الجار والمجرور ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ على ﴿كَٰفِرُونَ﴾، والغرضُ منه مزيدُ تأكيد كفرهم بالآخرة. **ثالثها:** التَّعبير بالجملةِ الاسميَّة، فإنَّها تدلُّ على استمرارهم على هذا الكفرِ، وأنَّهم جاحدون بالآخرة جحدًا مطلقًا[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(العِوَجُ) و(العَوَجُ):

العِـــوَجُ في القِيَمِ، والعَوَجُ في المحسُوساتِ، وكِـلاهـمـا مـنَ اللّفظِ المستعمَلِ الفَصيحِ

فرَّق كثيرٌ مِنْ أهل العِلْم بين العِوَجِ والعَوَجِ؛ بأنَّ العِوجَ يكونُ في المَعاني، والعَوَجَ في المحسوسات[2]، ويُشْكِلُ عليه قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: 105 - 107]، وأجاب عنه الزَّمخشريُّ بقولِه: "فإنْ قُلْتَ: قد فرَّقوا بينَ العِوَجِ والعَوَجِ، فقالوا:

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2846.

(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 5/457، والماورديّ، النّكت والعيون: 3/284، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/310.

العِوَجُ – بالكَسْرِ – في المعاني، والعَوَجُ – بالفَتْحِ – في الأعيانِ، والأرْضُ عَيْنٌ، فكَيْفَ صَحَّ فيها المَكْسورُ العَيْنِ؟ قلتُ: اخْتيارُ هذا اللَّفْظِ له مَوْقِعٌ حَسَنٌ بديعٌ في وصف الأرْضِ بالاسْتِواءِ والمَلاسَةِ، ونَفْيِ الاعْوجاجَ عَنْها على أبْلَغِ ما يكونُ، وذلك أنَّكَ لَو عَمَدْتَ إلى قِطْعَةِ أرضٍ، فسَوَّيْتَها، وبالَغْتَ في التَّسوية على عَيْنِكَ وعيونِ البُصَراءِ مِنَ الفلّاحة، واتَّفقتُم على أنَّه لم يَبْقَ فيها اعوجاجٌ قطُّ، ثُمَّ اسْتَطْلَعْتَ رأْيَ المُهَنْدِس فيها وأمَرْتَهُ أن يَعْرِضَ اسْتِواءها على المقاييس الهَنْدَسيَّة؛ لَعَثَرَ فيها على عَوَجٍ في غَيْرِ مَوْضِعٍ، لا يُدْرَكُ ذلك بحاسَّةِ البَصَرِ، ولكنْ بالقياس الهندَسيِّ، فنفَى اللّهُ عزَّ وعلا ذلك العَوَجَ الذي دقَّ، ولَطُفَ عَنِ الإدراك، اللَّهُمَّ إلّا بالقياس الذي يَعْرِفُه صاحِبُ التَّقدير والهندَسَة، وذلكَ الاعْوِجاجُ لَمّا لَم يُدْرَك إلّا بالقياس دون الإحْساسِ؛ لَحِقَ بالمعاني، فقيلَ فيهِ: عِوَجٌ بِالكَسْرِ"[1].

وقيَّدَ البيضاويُّ الفَرقَ بينَهُما بأنَّ العِوَجَ – بالكَسْرِ – في المعاني والأعيانِ ما لَم تَكُنْ مُنْتَصِبَةً، وبالفتْحِ: ما كانَ في المُنْتَصِبِ مِنْها، كالحائط والرُّمْحِ[2]، والأرْضُ المستويَةُ مِنَ الأوَّلِ؛ فتكونُ آيةُ سورةِ طَهَ جاريةً على الأصْلِ، إلّا أنَّ الأكثرينَ على التَّفريقِ الأوَّلِ.

(1) الزمخشري، الكشّاف: 3/88.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/14.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»